

فتنة الخروج

تاریخ و آثار

السيرة
د. هشام بن خليل الطوسي

قام بها فريق التفریغ في شبكة بینونة للعلوم الشرعية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفریغاً لمحاضرة

بعنوان

{فتنة الخروج تاريخ وآثار}

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

حديثنا عن فتنة عظيمة، وهي فتنة الخروج، حذر نبينا -صلى الله عليه وسلم- من الفتن، وأمر باجتنابها، وبيّن أن السعادة في اجتناب الفتن، قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ**»^(١) هكذا كانت وصية نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وهكذا كان

(١) صحيح: أخرجه أبو داود حديث: ٤٢٦٣، الصحيحة (٩٧٥)

حرصه - عليه أفضل الصلاة والسلام - على أُمته، التي بُعث إليها هاديًا وبشيرًا وسراجًا منيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه - سبحانه وتعالى -.

فما من خيرٍ إلا ودَلَّنا عليه، وما من شرٍ إلا وحذَرنا منه، فقد بيَّن عليه الصلاة والسلام لنا الدين أتمَّ البيان، ونصح لأُمته - صلى الله عليه وسلم - أتمَّ النصيح، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن هذه الفتن العظيمة التي حذَّر منها نبينا - صلى الله عليه وسلم - (فتنة الخروج)، وما أعظمها من فتنة، وما أسعدَ من نَجَّاه الله - سبحانه وتعالى - منها، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يكتبنا ممن نجا من هذه الفتن، وأن يسعدنا بالسُّنة ويكرمنا باتِّباعها، وباتِّباع نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما قصة عظيمة، وهي قصة ذي الخويصرة التميمي، واعتراضه على نبينا - صلى الله عليه وسلم - في قسمة الفيء، إذ كان - صلى الله عليه وسلم - قد قسّم الفيء بين المسلمين فأعطى لأناس، ولم يعط لآخرين، فلم يرض هذا وأمثاله بقسمة نبينا - صلى الله عليه وسلم -، بل قال اعدل يا محمد، أو اعدل يا رسول الله، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟»، ثم قال عمر - رضي الله عنه -، وجاء في رواية مسلم أن خالدًا - رضي الله عنه - قال: "دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ"، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْقَدْحُ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالْدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَصْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمُرَاةِ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»^(١)

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري حديث: ٣٣٤٤ ومسلم حديث: ١٠٦٤

يقول أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - راوي هذا الحديث: "والله إني سمعته من النبي - صلى الله عليه وسلم - وإني رأيته مقتولاً زمن علي - رضي الله عنه - وإني رأيته علياً - رضي الله عنه - يقتلهم"، وأشار إلى ما ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه جاء على النعت الذي نعته النبي - صلى الله عليه وسلم -.

هكذا أخبر النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - بما عليه هؤلاء من شدة الحرص في العبادة، وشدة الإقبال على العبادات، لكنه مع الجهل بالله - عز وجل - والجهل بنصوص الكتاب والسنة، والبعد عما كان عليه صحابة النبي عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد وقع مصداق ما حذر منه النبي - عليه الصلاة والسلام - ما جاء في عهد عثمان - رضي الله عنه - ذي النورين، الذي عمّ الخير في عهده، وانتشر فيه العدل، وانتشرت فيه الفتوحات الإسلامية، وانتشرت فيه الخيرات في زمنه، والذي شهد

له الجميع بسعة ذاك الوقت، وبراحة الناس في ذاك الزمان، إلا أنَّ أهل الفجور وأهل الخروج وأهل الشرور، لا يرضون بذلك مهما كان الإمام وكان الحاكم في العدل والانصاف، وفي القرب لله -عزَّ وجل- ولو كان من خلفاء المسلمين، ولو كان من الخلفاء الراشدين.

إذ تجمَّع عليه من عددٍ من أقطار بلاد الإسلام من مصر والكوفة، وغير ذلك من البقاع، تجمَّعوا على عثمان -رضي الله عنه-، واستغلوا فرصة انشغال المسلمين في موسم الحج، فجاءوا كأنهم يحتجون على شيءٍ من أمر عثمان -رضي الله عنه- وما ظنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- بقتل عثمان -رضي الله عنه-، وهي عادة هؤلاء الخوارج، يتظاهرون بالسلمية ويتظاهرون بكذا وكذا، ثم يحدث منهم أمرٌ لا تحمد عقباه.

فجاءوا على أنهم يُنكرون على عثمان -رضي الله عنه- شيئاً مما استنكرته أنفسهم بجهلٍ منهم، وبعدٍ منهم عن دين الله -عزَّ وجل-، جاءوا وتجمهروا

وتجمّعوا عند داره -رضي الله عنه-، وحَرَصَ الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك الوقت أن يكفوا شرّهم عن عثمان -رضي الله عنه-، إلا أن عثمان -رضي الله عنه وأرضاه- قد أدرك وأيقن ما أخبره به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنه حاصلٌ لا محالة، وهو من أنه يُقتل -رضي الله عنه- مظلومًا^(١)، -رضي الله عنه وأرضاه-.

فمنع الصحابة -رضوان الله عليهم- من أن يُراق دم أحدهم بسببه -رضي الله عنه وأرضاه-، وأقسم عليهم وحلف وقال: " لا أُحِلُّ أحدًا لي في عنقه طاعة وبيعة أن يقاتل " وأقسم عليهم أن ينصرفوا، ولا يُراق بسببه دم امرؤٍ مسلم،

(١) لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَهُ، فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ وَلَا كَرَامَةً» يَقُولُهَا: لَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. أخرجه الحاكم في مستدركه حديث: ٤٥٤٤ وقال: "حديث صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٤٧).

وأضف إلى ذلك أنه قد رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وقال -صلى الله عليه وسلم- له: «تُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ»^(١).

فبيّن لهم رضوان الله عليه ما كان من فعله في الإسلام، وما شهد له به أفضل الخلق نبينا -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢) وبيّن لهم -رضوان الله عليه- أنه قد جهّز جيش العُسرة، وبيّن لهم أنه قد اشترى بئر رومة، وبيّن لهم كذا وكذا من فضائل عثمان -رضي الله عنه- التي شهد بها النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما قال وهم على جبل واهتز جبل أحد، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اثْبُتْ أَحَدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث: ٥٣٦

(٢) حسن: أخرجه الترمذي حديث: ٣٧٠١، مشكاة المصابيح (٦٠٧٣)

(٣) أخرجه البخاري حديث: ٣٦٧٥

فأخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الفضيلة، ونقله لهم عثمان -رضي الله عنه-، ولكنها الفتنة، ولكنه البعد عن دين الله -عزَّ وجل-، إذا تغلغل في القلب صعب على النفس إخراج هذا السواد، وهذا الظلام، وهذا الإفك الذي قد ملئ قلوبهم، وهذا الأمر الذي قد أعمى بصائرهم، فقد ذكرهم عثمان -رضي الله عنه- بهذه الفضائل كلها، لكن من كان بعيداً عن القرآن، وبعيداً عن سُنَّة النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تنفع معه الذكرى، ولا تنفع معه الأمور التي يعقلها ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

مقتل عثمان رضي الله عنه:

فذكرهم عثمان -رضي الله عنه- إلاَّ أنَّ العقول قد طاشت، والبصائر قد أظلمت من هؤلاء دعاة الفتنة والخوارج، الذين حرص زعيمهم ابن سبأ، والذي كان يُطلق عليه ابن السوداء، حرص أشد الحرص على زرع هذه الفتنة في

المسلمين، وهو كما ذكر الإمام الآجري -رحمه الله تعالى- في الشريعة^(١) أنه كما أن اليهود كان لهم دورٌ في إفساد دين النصارى، دين عيسى -عليه السلام-، حينما بثوا فيهم ما لم يكن على زمن عيسى -عليه الصلاة والسلام- هكذا عمل ابن سبأ اليهودي من إظهار الإسلام والتغلغل بين المسلمين، وبث شيء من هذه الفتن وهذه السموم عند من يتقبلها منه، وعند من يستقبلها قلبه والعياذ بالله.

(١) كما قال الآجري رحمه الله عن ابن سبأ: (يقال له: ابن السوداء ويعرف بعبد الله بن سبأ لعنة الله عليه، زعم أنه أسلم، فأقام بالمدينة، فحمله الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم ولصحابته وللإسلام، فانغمس في المسلمين كما انغمس ملك اليهود بولس بن شاوذ في النصارى حتى أضلهم، وفرقهم فرقا، وصاروا أحزابا، فلما تمكن فيهم البلاء والكفر تركهم، وقصته تطول، ثم عاد إلى اليهود بعد ذلك، فهكذا عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار له أصحاب في الأمصار، ثم أظهر الطعن على الأمراء، ثم أظهر الطعن على عثمان رضي الله عنه، ثم طعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أظهر أنه يتولى عليا رضي الله عنه، وقد أعاد الله الكريم علي بن أبي طالب وولده وذريته رضي الله عنهم من مذهب ابن سبأ وأصحابه السبائية) الشريعة (١٩٧٩/٤).

فتغلغلت هذه الفتنة، وتغلغل هذا الشر في قلوبهم، وأحاطوا به -رضوان الله عليه- فجاءوا إليه واقتحموا داره، وهو قد فتح كتاب الله -عزَّ وجل- يتلوا آيات الله -عزَّ وجل-، فأقبل شقيهم وضربه على جبينه -رضي الله عنه وأرضاه- فأدماه، ثم أقبل عليه آخر فضربه بسيفه -رضوان الله عليه- ثم جاء أحدهم ووضع ذباب^(١) سيفه على بطنه، واتكأ عليه، وقتلوا خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فجاءت امرأته نائلة بنت الفرافصة -رحمها الله-، فأمسكت بالسيف حتى تبعده عن جسد عثمان -رضي الله عنه- فُقطعت أصابعها، وهي تدافع عن زوجها عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-، وجاء عبده فضرب أحدهم فقتله، فقاموا إليه فقتلوه، وهكذا تجمعوا عليه، من هذه الأوباش^(٢)، وهذه الخوارج، تجمعوا عليه وقتلوه -رضي الله عنه وأرضاه- فسال دمه -رضي الله عنه- على

(١) ذباب السيف: أي طرفه الذي يُضربُ به. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٥٢/٢)

(٢) الأوباش: هم الأخطا من سفلة الناس. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/٣٤٦).

كتاب الله - سبحانه وتعالى - وعلى قول الله - عز وجل - : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وهكذا ما بقي منهم أحدٌ على مر الأيام والليالي إلا أصابه من غضب الله - عز وجل - ، وتسليط أحد الظالمين عليه كالحجاج وغيره، ما حصل مما هو معروف في كتب التاريخ، يقول الشعبي - رضي الله عنه - : "ما سمعت من مرثي عثمان - رضي الله عنه - أحسن من قول كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال :

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ * * * وَأَيَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَيَسَّ بِغَافِلٍ
وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ لَا تَقْتُلُوهُمْ * * * عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْـ * * * عَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ عَلَى * * * النَّاسِ إِدْبَارَ السَّحَابِ الْجَوَافِلِ^(١)

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه حديث: ٤٥٦٥

هكذا انتهت فترة الخيرات التي أنعم الله فيها على المسلمين بالخيرات العظيمة، وذهب الزمان الذي كان فيه الرخاء، وكان فيه العدل يسود ربوع بلاد المسلمين، وكُسر الباب الذي فُتحت به الفتنة بعد ذلك، وانقسم الناس بعدها إلى ما انقسموا عليه وأعلنوا الخروج على ولاة أمور المسلمين.

مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج

ولم يكتفِ هؤلاء الخوارج بفعلتهم هذه، بل ظلوا على ما كانوا عليه، إلى أن جاء زمن أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه وأرضاه - واستمروا بالخروج عليه، ومنهم من أظهر التشيع له في بداية الأمر، ثم ما لبث أن انقلب عليه وقتله - رضوان الله عليه -، فأعلنوا بداية الأمر أنهم مع علي - رضي الله عنه -، ثم بعد ذلك انقسموا وتفرقوا عنه، بل وكفّروه وكفّروا من معه، فأرسل إليهم علي - رضي الله عنه - ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو من هو في تفسير القرآن، والعلم بسنة النبي العدنان، فأرسل إليهم علي - رضي الله عنه - أرسل إليهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -.

فأول ما جاء ابن عباس رضي الله عنهما إليهم قالوا: "لا تناقشوه، هؤلاء قوم قريش الذين قال الله فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]"، لماذا؟ لأنهم على جهالة، وعلى عمائية، وعلى بعدٍ عن دين الله - عزَّ وجل -، فيخافون ممن كان مليئًا بالسُّنة، قد ملئت السُّنة قلبه، وملئ العلم فؤاده رضوان الله عليه، فجاءوا وحذروا أتباعهم من الكلام مع ابن عباس - رضي الله عنه -، فجاء إليهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - وكلمهم بكتاب الله، وبسُّنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: "ما تنقمون على علي؟" قالوا: "ننقم عليه أمورًا ثلاثة، أنه حَكَمَ الرجال، وأنه قاتل ولم يسبي من النساء، وأنه محى نفسه من أن يكون أميرًا للمؤمنين، فهو أميرٌ للكافرين" هكذا بهذه السهولة، وهذه البساطة يكون التكفير عندهم كما هو واقعٌ في زماننا هذا.

ولكل قومٍ وارث، فقال لهم رضي الله عنه: "هل ترضون أن أكلمكم بكتاب الله وبسُّنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فوافق بعضهم، فقال لهم - رضوان الله عليه -: أن الله - عزَّ وجل - قد حَكَمَ الرجال فيما هو أدنى من ذلك،

في الصيد يصطاده المحرم في أرنبٍ ونحو ذلك، قال الله -عزَّ وجل-: ﴿يُحْكَمْ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وأنتم لا ترضون أن يحكم الرجال في أمرٍ فيه إصلاح ذات البين، وكذلك الله -عزَّ وجل- حكم الرجال في شأن المرأة مع زوجها، وهذا الأمر أعظم من أن يُحكم في صيدٍ، أو في خلافٍ بين امرأةٍ وزوجها، فقال: أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم.

فقال: تنقمون عليه أنه لم يسبي من النساء، حينما قاتل معاوية -رضي الله عنه- وعن علي -رضي الله عنهما- أجمعين، تقولون أنه لم يسب ولو سبى لكان في السبي أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فهل ترون أنها أمكم؟ أم تقولون أنها ليست أمكم؟ فإن كنتم لا تقرّون بأنها أم المؤمنين فقد كفرتم، إن الله -عزَّ وجل- يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وإن قلتُم أنهنَّ لسن بأمهاتٍ للمؤمنين فقد كفرتم بقول الله -عزَّ وجل- هذا، أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم خرجنا من الثانية.

قال: وتنقمون عليه أنه قد محى اسمه من أمير المؤمنين فهو أميرٌ للكافرين؟
قال: هكذا كان شأن النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلح الحديبية، حينما قال
له المشركون: لم نرض أن تكتب من محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،
فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- علياً أن يمحو هذا، ويكتب من محمد بن عبد
الله، ففعلها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو خيرٌ من علي، أخرجنا من هذه؟
قالوا: نعم"، فحاججهم وناظرهم بالعلم والقرآن والسنة فأفحمهم، فرجع
نصفهم، وبقي النصف الآخر، الذين قاتلوا علياً -رضي الله عنه- يوم
النهر وان^(١).

هكذا استمر شأنهم وقتالهم لخلفاء المسلمين، فقاتلوا علياً -رضي الله عنه-
وهم يرونه من أكفر أهل الأرض، وهكذا هم الخوارج، تتغلغل هذه العقائد
الفاسدة فيهم حتى يكفروا خير أهل الأرض بعد الأنبياء، وهم صحابة النبي -

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة حديث: ٤٣٢

صلى الله عليه وسلم-، وهم خلفائه الراشدون، إلى أن جاء الشقي "عبد الرحمن بن ملجم" في يومٍ، تعاهد فيه هو واثنان آخران من الخوارج، تعاهدوا على أن يقتلوا في صبيحة هذا اليوم، في السابع عشر من شهر رمضان أن يقتلوا عليًا - رضي الله عنه-، ومعاوية - رضي الله عنه-، وعمرًا بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين-.

فأرسل أحدهم إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه-، لكن قدرَّ الله أن عمرًا في ذلك اليوم قد مرض، فصلى مكانه الفجر خارجه، فقتلوا خارجه، وكما قيل أرادوا عمرًا وأراد الله خارجه، فنجا عمرو - رضي الله عنه-، وأما معاوية - رضي الله عنه- فطعنوه ولم يمت من تلك الطعنة.

مقتل علي بن أبي طالب

وأما هذا الشقي عبد الرحمن بن ملجم، فقد سمم الخنجر الذي معه، واختبئ لعلي - رضي الله عنه- وخرج إليه وطعنه، وضربه - رضي الله عنه- ضربةً قد توفي على إثرها لكنه - رضي الله عنه- وانظر إلى طيبة صحابة النبي - صلى الله

عليه وسلم - حينما قال: "دعوه فإن لم أمت من هذه فأعفو عنه، وإن مت فاقتلوه"، فمات - رضي الله عنه - من أثر هذه الضربة، فجاءوا ليقتلوا هذا الشقي عبد الرحمن بن ملجم.

وعبد الرحمن بن ملجم ذكروا في سيرته وفي أخباره، وهذه من الأمور التي ينبغي على المسلم أن يتنبه فيها ويحذر فيها أشد الحذر، ويسأل الله - سبحانه وتعالى - دائماً الثبات حتى الممات، فقد كان ممن يُقرئ الناس القرآن، وممن يُحفظ الناس كتاب الله - عزَّ وجل -، وأرسله عمر - رضي الله عنه - في زمنه إلى عمرو بن العاص، وقال أرسلته إليك، وإني قد اختصصته لنفسِي، فإني أُرسله إليك وقرب داره من المسجد، وليعلم الناس القرآن وليحفظهم كتاب الله - عزَّ وجل -، فقربوه وكان ممن يُحفظ الناس كتاب الله - عزَّ وجل -، إلى أن جاءت فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه -.

وكان من شيعة علي - رضي الله عنه - وانظر إلى تقلب الخوارج وتذبذبهم، وذلك لجهلهم بدين الله - عزَّ وجل -، إلى أن رأى رأي الخوارج وسار معهم،

وتأثر بامرأةٍ كانت ترى رأي الخوارج، وقد قُتل والدها وأخوها في معركة النهروان، بين الخوارج وعلي - رضي الله عنه -، فأقسمت أن يكون مهرها هو رأس علي - رضي الله عنه -، فرضي هذا الشقي بهذا الأمر فاختبأ لعلي - رضي الله عنه - وقتله على حين غفلةٍ، وباء بهذا الإثم العظيم وهو استحلال دم امرؤ مسلم.

وأَيُّ مسلمٍ وهو خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وابن عمه وأول من أسلم من الصبيان، عليّ - رضي الله عنه - الذي بشره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، استحل هؤلاء المجرمون، هؤلاء الذين تغلغت هذه الفتنة، وهذا الفكر الخبيث، تغلغل في قلوبهم، وعشعش في أذهانهم، استحلوا دماء هؤلاء الذين هم أشرف خلق الله بعد أنبياءه ورسله.

جاءوا إليه ليقتلوه فيقول وهو مفتخرٌ بفعله، وغير مكترثٍ بما فعل، بل يعد ما فعل أن هذا الأمر الذي هو قربةٌ إلى الله - عزَّ وجل -، قبحه الله وأخزاه، فيقول:

(إن جئتم لرأسي اقطعوه من أصله حتى يبدو كبيراً، وآخر ما تقطعون اقطعوا لساني، يعني اتركوه يذكر الله -عز وجل-)، وهكذا قد غرهم الشيطان كما قال علي -رضي الله عنه- حينما مشى بين قتلى الخوارج وهو ينظر إليهم صرعى وقتلى، يقول -رضي الله عنه-: "قد ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، قد ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ" وهكذا من اغتر وعشعشت البدعة في ذهنه وفي قلبه فمتى يخرج منها؟ نسأل الله العافية والسلامة.

يقول شاعرهم شاعر الخوارج، عمران بن حطان^(١)، واصفاً هذا الخبيث، وهو عبد الرحمن بن ملجم، وانظر إلى تعظيمهم لهذا الأمر، الذي هو خزيٌّ وعارٌ في الدنيا والآخرة، وهو استحلال دم امرؤ مسلم، يقول عمران بن حطان:

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها *** إلا ليلغ من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه *** أوفى البرية عند الله مـِـزاناً

(١) هو عمران بن حطان البصري، من رؤوس الخوارج القعدية، كان من أهل السنة أولاً ثم تزوج امرأة من الخوارج يريد أن يهديها للسنة فصرفته إلى مذهبها، بلغ من خبثه في بغض علي رضي الله عنه أنه رثى عبدالرحمن بن ملجم . انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٤).

هكذا يمدحون فعلتهم الشنيعة ويرون أنها قربةٌ إلى الله -عزَّ وجل-، فردَّ عليه بعض أهل السُّنة قائلاً:

يا ضربة من شقي ما أراد بها *** إلا ليعبد من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره حيناً فآلعه *** وألعن الكلب عمران بن حطانا

وهكذا يستبيحون دماء المسلمين ويرون أن في قتلهم للمسلمين قربة وأجر عند الله -سبحانه وتعالى-، وهذا مصداق قول نبينا -صلى الله عليه وسلم-: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»^(١) يرون أن في قتلهم لأبناء المسلمين قربة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وهكذا ما نراه اليوم في أيامنا هذه، نراهم يتقربون ويبدأون بقتل المسلمين، يقولون: اقتلوهم فإنهم مرتدون، واتركوا الكافر الأصلي، فأولئك قتلهم أمرٌ يأتي بعد ذلك، وهكذا هو شأن الخوارج، فمن استباح قتل أشرف خلق الله -عزَّ وجل- بعد الأنبياء، وهم الصحابة -رضوان

(١) سبق تخريجه

الله عليهم-، سيستبيح قتل كل من سواهم، وهذا من الجهل والاعراض عن دين الله -عزَّ وجل-.

فها هم حينما رأوا ابن الصحابي عبد الله بن خباب مع امرأته، وامرأته حامل، فلم ينزجروا ولم يكثرثوا أن يقوموا بقتله، بل وبقتل امرأته، بل وببقر^(١) بطنها وقتل جنينها، فما ذنب هذا الجنين الذي لم يولد بعد أن يُقتل؟ إنه هذا الفكر الخبيث، الذي قد تغلغل في أذهان هؤلاء، وهكذا البدعة تفعل بصاحبها ما تفعل من استحلال لما حرّمه الله -سبحانه وتعالى-، وافتراء على دين الله -عزَّ وجل-.

ثم مروا بعد ذلك ببستانٍ لنصراني، فأراد أحدهم أن يأخذ من ثماره، فقالوا: "دعه فإن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بأهل الذمة خيرًا"

(١) البقر هو الشق والتوسعة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/١٤٤).

فانظر إلى هذا الجهل يقتلون المسلم ويستبيحون دمه، ثم بعد ذلك يتورع الواحد منهم عن أكل ثمرة قد سقطت على الأرض، بل وأشد من ذلك أن يستكثر الواحد منهم بل ويجد في نفسه غضاضة من دم البعوضة، فيأتي ويسأل عن دم البعوضة، وهو يقتل ويستبيح أعراض المسلمين ويقتل أبناء المسلمين بكل برودة دم وباستباحة، نسأل الله - سبحانه وتعالى - العافية والسلامة.

هكذا استمر شأنهم، وكما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ»^(١)، بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهم نشأ ينشئون على قراءة القرآن لكنه لا يجاوز تراقيهم، «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، يقول - صلى الله عليه وسلم -: «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ» يقول ابن عمر فعددت للنبي - صلى الله عليه وسلم - عشرين مرة، وهو يقول «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ».

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه حديث: ١٧٤، صحيح الجامع (٨١٧١)

هكذا يستبيحون دماء المسلمين وذلك لما حملوه من فكرٍ خبيث، وهو فكر الخروج على ولاية أمور المسلمين، وهكذا استمروا في حكم زمن بني أمية، ومن جاء بعدهم، إلى أن سلَّط الله عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم بعد ذلك تولاهم وتولى فتنهم والقضاء عليها: المهلب بن أبي صفرة - رحمه الله تعالى - القائد المسلم، إلى أن قضى عليهم في زمن دولة بني أمية، ثم ظهروا بعد ذلك إلى زماننا هذا، لا بارك الله فيهم، وقطع الله دابرهم.

من صفات الخوارج

من العلامات والصفات التي ينبغي للمسلم أن يتأملها في هؤلاء المجرمين، وفي هؤلاء الذين قد بُعدوا عن دين الله - عزَّ وجل - واتسموا بهذه السمة الخبيثة، سمة الخروج على ولاية أمور المسلمين

من أوائل هذه الصفات وهذه المثالب التي قد برزت فيهم:

١ - أنهم جهلةٌ بدين الله - عزَّ وجل -

يقول ابن عباس - رضي الله عنه - حينما ذهب إلى مناظرتهم قال: "جئكم من عند أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين ليس فيكم منهم أحد" وهذه إشارةٌ إلى جهلهم وبُعدهم عما عليه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصحبه - رضوان الله عليهم -.

فلو كان منكم أحدٌ صَحِبَ وفهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مسائل الدين لم يكن حالكم كالحال الذي أنتم عليه من استباحةٍ، ومن خروجٍ على ولاية أمور المسلمين، فالجهل سمةٌ بارزةٌ عليهم، وهكذا ما نراه في أيامنا هذه، من انتشار الجهل فيهم وعموم بعدهم عن دين الله - عزَّ وجل -.

٢- ومن صفاتهم: الاعراض عن دين الله - عز وجل -

فقد جاءهم عليٌّ - رضي الله عنه - وكلمهم ابن عباسٍ - رضي الله عنه - وقبل ذلك حاججهم عثمان - رضي الله عنه -، بكتاب الله وبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، إلا أن القلب قد أعرض، وصد عن دين الله - عز وجل -، وهكذا نراه عياناً جهاراً في أيامنا هذه، تتلى عليهم آيات الله، وتطرق أسماعهم سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - يُقال لهم: قال نبيكم - صلى الله عليه وسلم - إن كنتم تؤمنون به حقاً، وتصدقونه حقاً، فاسمعوا لحديث نبيكم - صلى الله عليه وسلم - حينما يقول لك: «اسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ»^(١) يقول الواحد منهم وبكل جرأة على دين الله، وبكل وقاحة: "وهل تريدنا أن نخضع لحاكم متمرّد ظالم؟ ونسمع هذا الحديث؟

فنقول لهم: هل هو حديث فلانٌ وفلان؟ أم حديث نبيك - صلى الله عليه وسلم -؟

(١) أخرجه مسلم حديث: ١٨٤٧

بل الذي يجب عليك وجوبًا لا اختياريًا أن تؤمن وتصدق به -صلى الله عليه وسلم-، وإلا لما كنت من من يؤمن بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فالإعراض عن دين الله -عز وجل-، والصد عن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- سمة بارزة واضحة فيهم، من قديم الزمان إلى يومنا هذا، بل تجد الواحد منهم يتأول ويكذب على حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويحمله على ما لا يحتمل، وكلنا نذكر ذاك الخارجي الذي هو من رؤوسهم ومن ضلّالهم، حينما يُفسّر هذا الحديث ويحمله على تفسير باطل، حينما يقول: «اسْمَعُ وَأَطِعْ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ» تفسيره كذا وكذا.

وأيُّ عاقلٍ ينظر في كلامه وينظر في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- يظهر له كذب هذا الخارجي وأمثاله.

ولو تأمل المسلم في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- المتضافرة الكثيرة الوفيرة، التي فيها إخبارٌ من النبي -صلى الله عليه وسلم- وصراحة في هذا الأمر، ووضوح في مثل هذا الأمر، أنَّ على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما يحب وما يكره، ولا ينزع يداً من طاعة، بل وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أَنَّ مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَمَنْ مَاتَ مُفَارِقًا لِلْجَمَاعَةِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»^(١) إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي سطرها أهل الإسلام، وأئمة هذا الدين في كتبهم، محذرين وموضحين دين الله -عزَّ وجل-، ومحذرين من اتباع هؤلاء الخراجين المارقين عن دين الله -عزَّ وجل-، ولكن الهوى حينما يتحكم في النفس ويتغلغل في القلب، يصعب على القلب أن يخرج، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يثبت قلوبنا على دينه، وأن يصرف قلوبنا على طاعته.

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث: ٦٢٧٥

٣- من صفاتهم أنهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام

يقولون من قول خير البرية، يقول الواحد منهم كلامًا ولا يفقه ما يقول، جاء بعض الخوارج إلى عمر بن عبد العزيز، وتأمل في حديثهم معه، جاء بعضهم يناقش عمر بن عبد العزيز، وهم يشهدون له بالعدل والإحسان، فقال لهم: "ما تنقمون علي؟ قالوا: "ما ننقم عليك إلا أنك من أهل العدل، والخير والإحسان"، إذا كان الحاكم أو الوالي فيه هذه الصفة إذن ما الذي تنقمونه عليه؟ قالوا: ننقم عليك أنك قد جعلت مكانًا للمظالم، لمن كانت له مظلمة، ولم تلعن ولم تتبرأ من آباءك -يقصدون بني أمية-، فقال: "أترون هذه فريضة مفروضة؟ قالوا: نعم، لا بد أن تلعن وتتبرأ من هؤلاء الذين كانوا قبلك"، فقال لهم -رحمه الله تعالى-: "أخبرني بآخر مرة لعنت فيها فرعون! فقال: "لا أذكر"، قال: "وسعك ألا تلعن فرعون وهو أخبث أهل الأرض، ولا يسعني أن أسكت عن آبائي ولا ألعنهم؟ انظر إلى الجهل وإلى سفاهة الأحلام، وإلى هذا الكلام وهذه الاستدلالات التي

يرون بها القتل، وسفك الدماء والتكفير، واستباحة أعراض المسلمين بمثل هذه الأمور التي يرونها أنها حجج عظيمة والعياذ بالله.

وهكذا من اتبع سُبُل الشيطان، فنبينا - صلى الله عليه وسلم - حينما خط خطاً، وخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً وقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، وَهَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ...} إلى آخر الآية [الأنعام: ١٥٣]»^(١) ما كان كلامه - صلى الله عليه وسلم - عبثاً، نبينا - صلى الله عليه وسلم - حينما حذر من اتباع سُبُل الشيطان؛ لأنه في اتباع سبيل الشيطان فيه إلغاء لما متّعك الله - عزّ وجل - به من عقلٍ تميّز به الأمور التافهة التي لا تستحق أن يعظمها ويكبرها من الأمور العظيمة، لكن حينما تحدث الفتن؛ تطيش العقول.

(١) حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث: ٦، التعليقات الحسان (١/ ١٤٦)

لذلك صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما أخبرهم بوقوع القتل في هذه الأمة، ووقوع الفتن فيها، قالوا: "يا رسول الله ومعنا عقولنا في ذلك اليوم؟" أي: هل معنا عقولنا؟ قال: «إِنَّهُ لَتُنَزَّعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ»^(١)

فإذا وقعت الفتنة طاشت فيها عقول الناس، التي قد يكون الرجل فيها إن نظر فيها بروية وتأنٍ وجد أنها سفاهة، وبُعد عن دين الله -عزَّ وجل-، لذلك حذَّرنَا -صلى الله عليه وسلم- من الاقتراب من الفتن، وأمرنا بالبعد عنها والنأي عنها، فكلما ابتعد عنها الإنسان وجد فيها راحة بال وطمأنينة نفسٍ، وانشرح صدر، وادراك لما عليه من الذين يقعون في الفتن من سفاهة واحتقار لما أكرمهم الله -عزَّ وجل- من العقول.

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث: ٦٦٧٥، التعليقات الحسان (٩/ ٣٨٧)

وكلنا يرى ما يحصل في هذه الأزمنة، وما يحصل في بعض بلدان المسلمين،
ينادي بعضهم من السفهاء بالثورات وبالمظاهرات، وإن سمّوها سلمية، وإن
سموها ثورة الجوع، ثورة الفقراء، ثورة الخبز، ثورة كذا، يقال لهم:

أولئك الذين ثاروا على عثمان - رضي الله عنه - ما هو كلامهم؟

أولئك الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - ما هي حجتهم؟

ألم يقل أولئك الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - لا حكم إلا لله؟

قالوها أم لا؟

فماذا رد عليهم؟

قال لهم علي رضي الله عنه: "كلمةٌ حقٌّ أُريدُ بها باطلٌ"

وكذلك الذين ثاروا على عثمان - رضي الله عنه - ما نقموا عليه إلا أمورًا

دنيوية، كان الحق فيها معه - رضي الله عنه -.

وهكذا يخرج من يخرج في أيامنا هذه كلها لأسبابٍ دنيوية، فمتى رأيت شخصاً من هؤلاء يخرج ويزعم أن هذا الوالي، أو هذا الحاكم قد منعه من الصلاة، وقد منعه من كذا، إنما هي أمورٌ دنيوية يزينونها ويكيفونها بما يريدون، نقول وإن منعك الوالي أو الحاكم من أمورٍ فيها أو أمرٌ بها فيه معصية الله - عز وجل - فقد أخبرك النبي - صلى الله عليه وسلم - بما تفعل: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيُكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ»^(١)، هكذا أخبرك نبيك - صلى الله عليه وسلم - .

أما أن يكون أحدهم مطيةً لدولٍ كافرةٍ حاقدةٍ على بلاد المسلمين، يجعلونه مطيةً لتحقيق مآربهم في هذه البلدان، وفي هذه الأماكن التي يصعب عليهم الوصول إليها، بل قد سهّلت هذه الجماعات التي تسمى نفسها جماعات إسلامية - زورًا وبهتانًا -، سهّلوا عليهم الولوج والدخول في هذه البلدان، وإحداث

(١) أخرجه مسلم حديث: ١٨٥٥

القلق والمحن والفتن فيها، أمرٌ ما كان يحلم به أعداء الله -عز وجل-، لكن لما وجدوا هؤلاء الخوارج، وهؤلاء السفهاء الذين حققوا لهم ما يحلموا به، جلسوا في بلدانهم وما عليهم إلا التحريض، وإثارة البلبل والمحن من جهات إعلامية، ونحو ذلك، فإذا بالرعا، وإذا بالعامّة الذين قد تغلّغت البدعة في قلوب بعضهم، ينساقون وينجرون خلف هذه الفتن، وهذه الثورات.

ويؤجج مثل هذه الفتن ما عليه هؤلاء الجماعات التي يسمون أنفسهم بجماعات إسلامية، كالإخوان المسلمون وغيرهم من الجماعات الحزبية، وما عليه سادتهم وقادتهم من فكرٍ خبيثٍ قد زرعوا في أذهان بعض أبناء المسلمين، فالواجب على المسلم إن كانت عنده غيرّة على دين الله -عز وجل- وإن كان عنده أمرٌ بالمعروف أو نهْيٌ عن المنكر، أن يغار على دين الله -عز وجل-، وأن يغار على افتراءات هذه الجماعات التي تسمي نفسها إسلامية، على افتراءهم على دين الله -عز وجل-.

وما بثّوه في كتبهم، ككتاب الظلال لسيد قطب^(١) وغيره، من أهل الضلال والانحراف، حينما يصف أمثال هذا ومن هو على شاكلته من قادة الإخوان وغيرهم، حينما يصفون الإسلام أنه مزيجٌ من الاشتراكية والرأسمالية، أين ذهب دين الله - عزّ وجل - الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «جِئْتُكُمْ بِهَا بَيَضَاءً نَقِيَّةً»^(٢) بالله عليكم هل يدافع عن هؤلاء الضلال وعن هؤلاء الخوارج رجلٌ قد عشعش الإيمان في قلبه؟

هل عرف قدر صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم -، حينما يأتي هذا وأمثاله يصفون صحابياً جليلاً وهو ذو النورين، زوّجه النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) وهو سيد قطب، أحد منظري جماعة الإخوان المسلمين، وله مؤلفات احتوت على بدع ومخالفات، كتعطيل صفات الله، وإفساد معنى لا إله إلا الله، وتحريف آيات التوحيد ودعوات الرسل إلى السياسة، وقدح في الرسل والصحابة، وتكفير الأمة الإسلامية، وغيرها من المنكرات والطوام، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب: المورد العذب الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال للشيخ عبدالله الدويش رحمه الله.

(٢) حسن: أخرجه الدارمي في مسنده حديث: ٤٤٩، مشكاة المصابيح (١٧٧)

ابنتيه وشهد له بالفضل والإحسان والبراءة والنجاة من النار، وشهد له النبي -
صلى الله عليه وسلم- بالجنة، وهو عثمان -رضي الله عنه-، يأتي أمثال سيد قطب
وغیره من الضلال ويصفوا خلافته بأنها فجوة .

فهل يدافع عن أمثال هذا من كان في قلبه غيرة على الدين؟

من كان في قلبه غيرة على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

يزعم الواحد من هؤلاء الحزبيين الغيرة على صحابة النبي -صلى الله عليه
وسلم-، وهم يدافعون عن أمثال هذا، أفيعقل أيها المسلمون أن يدافع عن هؤلاء
الذين يستبيحون أعراض المسلمين؟

بل يرى أمثال سيد قطب وغيره من قادة الإخوان وغيرهم، يرون أن مساجد
المسلمين هي معابد جاهلية، بل لا يصلي مع المسلمين لا جمعة ولا جماعة.

تكفيرٌ خبيثٍ عشعش في قلبه، فهل مثل هذا يسمى قائدًا وشهيدًا؟

أم مثل هذا لا بد أن يُردُّ على جهالاته وضلالاته، التي غرسها في شباب المسلمين.

حتى رأينا الشاب الصغير الذي قد يكون لم يبلغ الحلم، قد تأثر بهذا الفكر الخارجي، هل من الغيرة على دين الله - عزَّ وجل - أن يُمدح أمثال هؤلاء؟

هل من الاتباع للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُسكت عن هذا التشويه الذي يشوه به هذه الجماعات؟

هل يُسكت عن مثل هذا التشويه؟، أم لا بد من بيان دين الله - عزَّ وجل -، ولا بد من بيان السُّنَّة، وبيان سماحة هذا الدين، وبيان بطلان هذه الافتراءات وهذا الكذب، وهذا الدجل الذي يمارسه بعض من تلبس بلباس الوعظ، وخرج على الشاشات الإعلامية وغيرها، يزَيِّن لأبناء المسلمين أن هذا جهاد، وهذا من

كلمة الحق، وهذا من دين الله -عزَّ وجل-، وهو من أجهل الناس بدين الله -عزَّ وجل- وما هو إلا من دين الخوارج.

هل دين الله -عزَّ وجل- خافٍ على الناس حتى يأتي أمثال هؤلاء ويبتون مثل هذا الأمر، أم أن دين الله -عزَّ وجل- ظاهرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى هؤلاء الضلال، الذين قد بعدوا وتشربت البدعة وتغلغت الفتنة في قلوبهم، أفمثل هؤلاء يُدافع عنهم؟ ومثل هؤلاء يُغضب لهم؟

والله إن من تأمل في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتحذيره من أمثال هؤلاء الضلال، وعَلِمَ سُنَّةَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وعرف سيرة صحابته -رضوان الله عليهم- وما كانوا عليه من الإيمان بالله -عزَّ وجل- وتعظيم السُّنَّة والاعتزاز بها، ورد كل من خالفها، والله إنه ليعبراً أشدَّ البراءة من مذهب الخوارج وما هم عليه، من افتراءٍ على دين الله -عزَّ وجل- ومن جهلٍ بالدين،

ومن استباحةً لدماء المسلمين، ومن تكفيرٍ لحكام المسلمين، وما هم عليه من أمورٍ وضلالاتٍ كثيرة، بينها أهل العلم في كتبهم، ونص عليها أئمة هذا الدين في قديم الزمان وحديثه، فقد بينوا لنا خطورة هذا المذهب الرديء، وهذا الفكر الخبيث الذي عليه فكر الخوارج الضلال.

هذه المسائل يطرحها أهل العلم في كتبهم، ويثونها للنشء، ولعامة الناس حتى يدرك الناس خطر هؤلاء، وحتى يعرفوا أمثال هؤلاء فلا يغتروا بهم، وليحذروا منهم، وليتتهجوا نهج نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، والقلب كما قال أئمة هذا الدين: "القلب ضعيف، فلا تجعل من قلبك كالإسفنجة" -كما قال شيخ الإسلام- تتشرب الأهواء^(١).

(١) قال ابن القيم رحمه الله: (قال لي شيخ الاسلام رضى الله عنه وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد، فقال: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها؛ فلا ينضح الا بها، ولكن اجعلها كالزجاجة المصمتة، تمر الشُّبُهَات بظاهرها ولا تَسْتَقِرْ فِيهَا، فیراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا اشربت قلبك كل شُبْهَة تمر عَلَيْهَا صار مقراً للشبهات، فما أعلم أني انتفعت بِوَصِيَّةٍ فِي دفع الشُّبُهَات كانتفاعي بذلك) انظر: مفتاح دار السعادة (١/٤٤٣).

بعضهم يقول أطلع على كلامهم من باب الفضول، فيدخل المواقع والشبكات العنكبوتية، وهو على جهل؛ فتسرّب بعض هذه الأفكار في ذهنه، فيرى برأي هؤلاء الخوارج فيستبيح دم أبيه وأمه، يستبيح دم أقرب الناس إليه، بالله عليكم أمثال هؤلاء لولا عظم الفتنة التي قامت في قلوبهم، ولولا عظم الجهل بدين الإسلام، هل يقدمون على مثل هذه الأفعال؟ والله إن المسلم الذي قد تعلّم من الدين المسائل القليلة، يستعظم مثل هذه الأمور، يستعظم إراقة دم امرؤ مسلم، فكيف إذا كان هذا المسلم والده، أو والدته، أو قريبه، أو أخوه؟ فلا يقدم على هذه الأعمال؛ إلا من عظم جهله بالدين، وعظمت هذه الفتنة في قلبه.

لذلك حينما ترى أمثال هؤلاء لا يسعك أن تسكت عن خطر هؤلاء، ولا يسعك أن لا تبين للناس ضررهم، بل والله لا بد من بيان هذا الخطر، وتحذير الناس من هذا الخطر، عسى الله - سبحانه وتعالى - أن يُلقي بكلمتك هذه في

قلوبٍ قد تسرّب إليها شيء من هذا الفكر فينيرها الله - سبحانه وتعالى - بنوره،
وبنور كتابه وبنور سُنّة نبيه - صلى الله عليه وسلم -

فنصيحة لكم يا أبناء الإسلام، يا بنات الإسلام، نصيحةٌ لله - عزّ وجل - لا
تدخلوا على الناس ولا تدخلوا على رفاقكم، ولا تدخلوا على قرابتكم بتوضيح
الدين لهم، ببيان سماحة هذا الدين، وبيان قبح أفعال الخوارج وتحذير النبي -
صلى الله عليه وسلم - منهم، بينوا للناس، وضحوا لهم مثل هذه المسائل، انشروا
دين الله - سبحانه وتعالى - في مشارق الأرض ومغاربها، لا تجاملوا أحدًا على
دين الله - عزّ وجل - بينوا خطر هذه البدع، وخطر أهلها، بينوا لهم مخالفتها
للسُنّة، وتحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - منها.

بينوا لهم أسماء قادة هذا الفكر الخبيث، حتى يحذر من القراءة في شيءٍ من هذه
الكتب التي قد بثوها ونشروها في المواقع الالكترونية، أو في عقول ومكتبات
المسلمين، لا بد أن يعرف المسلم خطر هؤلاء، ويحذر منهم ويعرف السُنّة، حتى
ينجو بفضل الله - عزّ وجل - ومِنته.

أسئلة ما بعد المحاضرة:

سؤال: يقول ما نصيحتكم للذين انضموا إلى الخوارج في هذا الزمان؟

الإجابة: نصيحتي لهم ولغيرهم أن يتقوا الله - عز وجل - وينظروا في حالهم، وينظروا في مآلهم، فإن عذاب الله شديد، ولئن يخطئ المسلم في قول إن فلاناً مسلمٌ وهو على الكفر، أحب إليه من أن يخطئ في إخراج مسلمٍ من الإسلام، وتعييره ونسبته إلى الكفر، هذه الفتن قد حذر منها نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقد حذر منها أئمة هذا الدين، وقد حذر منها علمائنا المعاصرين، بينوا فيها البيان التام، وحذروا أيما تحذير، فلا يبقى مع المسلم حُجة أن يقول أن هؤلاء يقررون أمراً فيه الخير، وفيه النصح للمسلمين، يُقال انظر في سيرة الخوارج الذين سبقوهم وانظر لحالهم، والله إن الخوارج الذين كانوا في الزمن القديم الذين وصفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنهم كلاب النار، كانوا خيراً من كثيرٍ من الخوارج الذين في عصرنا، لا جمعوا بين العبادة، ولا تخلوا عن هذا الفكر الخبيث، أولئك الخوارج ساهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاب النار، مع

كثرة عبادتهم، وكثرة صيامهم وزهدهم في هذه الدنيا، وظهور أثر العبادة عليهم ومع ذلك ساءهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاب النار.

بل قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - إن قول الله - عز وجل - : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] أنها في الخوارج، أولئك كانوا مع زهدهم ومع عبادتهم ووصفوا بهذا الوصف الخبيث، وهم أنهم كلاب أهل النار، فما بالك بالخوارج الذين هم في زماننا! من قلة العبادة فيهم، وبُعدهم عن العبادة وتلوّثهم بالفكر الخبيث، جمعوا بين السوأيتين، بعد عن الكتاب والسنة وبعد عن العبادة، وإقحام لأنفسهم في هذه الفتن، فمثل هؤلاء ماذا يرجى منهم؟ وأي دين سيقام على أيدي هؤلاء؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "وَقَلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا كَانَ مَا تَوَلَّدَ عَلَى فَعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرُ مِمَّا تَوَلَّدَ مِنَ الْخَيْرِ"^(١).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥٢٨/٤).

الآن يؤججون بعض بلاد المسلمين التي استقرت، وبدأ الخير ينتشر فيها، يقولون: "ثوروا على هذا الوالي، ثوروا على هذا الحاكم"، بحجة ثورة الفقراء، ثورة الجوع، ثورة الخبز، إلى غير ذلك من الأسماء، والهتافات الرنانة التي يدغدغون بها عواطف الجهلاء، يدغدغون بها عواطف من بُعد عن الكتاب والسنة، وللأسف يجدون من ينساق وراء مثل هذه الشبهات ومثل هذه الهتافات التي هي واضحة للعيان بأنها من فعل الخوارج، ولا يقوم بها من آمن بالله وصدق بكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

سؤال: نصيحة لمن يتابع وسائل الإعلام ظناً منه أنها ترشده إلى الحق، والتي هي أيضاً سببٌ كبير في التحاق الشباب بالخوارج؟

الإجابة: لا شك أن الإعلام في هذا الزمن عليه مسؤولية عظيمة أمام الله - سبحانه وتعالى - أولاً، ثم أمام أوطانهم التي أكرمهم، وثقة المسؤولين بهم من تمكينهم في أماكن لها التأثير على شباب المسلمين، فينساقوا بعض أبناء المسلمين

وراء بعض الشبكات العنكبوتية، أو وسائل الإعلام التي قد يكون فيها من الفتن، والدعوة للخروج على ولاية الأمر بطرق ملتوية وبطرق خبيثة، يتأثر فيها حتى من فهم شيئاً من أمور هذا الإسلام، وقد يتأثر فيها بعض الناس.

فلذلك نصيحة لأمثال هؤلاء لا تكثروا بل لا تتابعوا ولا تنظروا في مثل هذه الأمور التي هي سبيلٌ من سُبُل الشيطان، تقودكم إلى الخروج وإلى إساءة الظن بولاية الأمر، يقول أبو الدرداء -رضي الله عنه-: "إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"^(١) انظر إلى كلام هذا الصحابي الجليل، بماذا يفسر الطعن على الأئمة والحكام، أنه أول نفاق المرء، طعنه على إمامه، فإذا رأيت الرجل طعناً لعائناً غمازاً في ولاية أمور المسلمين؛ فاعلم أن هذا قد تسلل إلى قلبه فكر الخوارج، فاحذره وانتبه منه، وإن كان يقبل؛ فانصحه، ويُن له أن هذا الفكر الخطير يقود المسلم إلى استباحة دماء المسلمين، وقد ذكرنا هذا الأمر في أكثر من مرة.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث: ٨٩٥٩

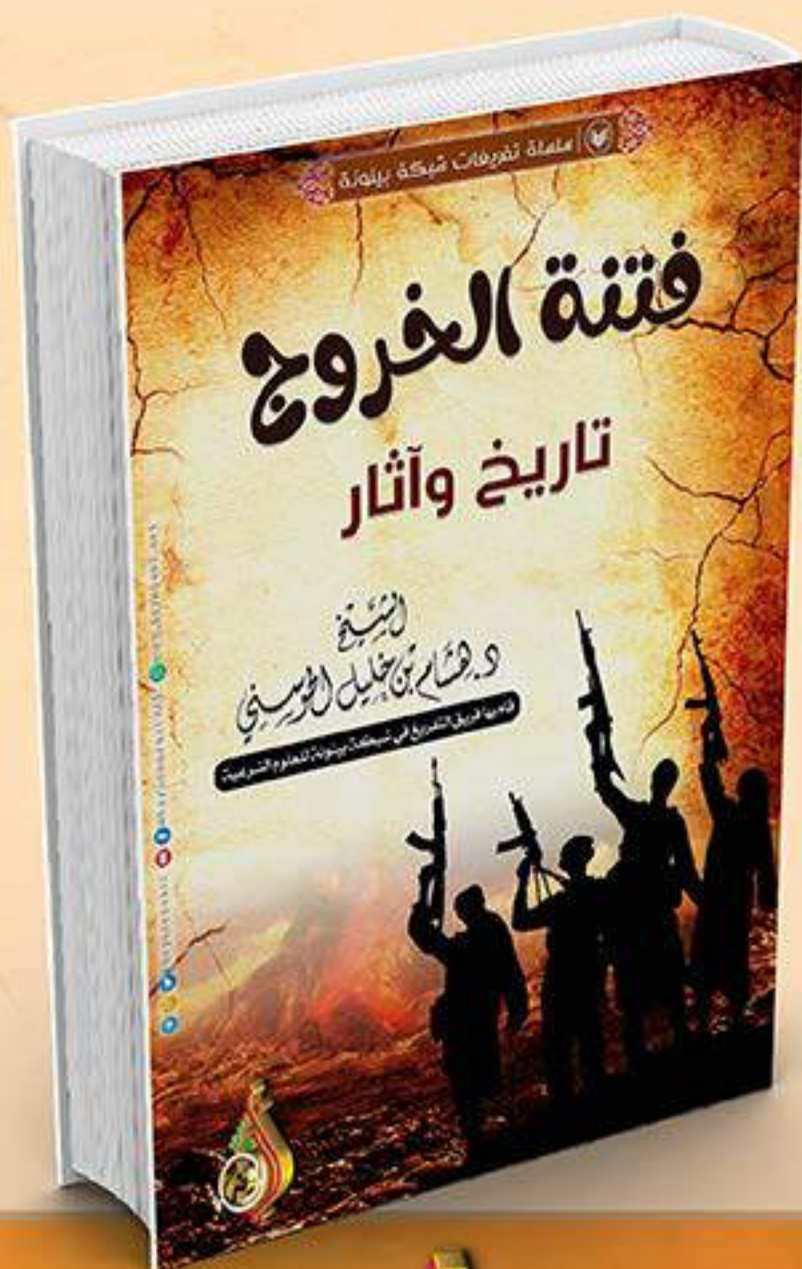
عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنه -
حينما رأوا بعض أهل الكوفة، وهم على شيء من البدع أنكروا عليهم وبينوا لهم
هذه البدع، وحذروهم منها لكن كثير منهم ما استجاب لنصيحة هذا الصحابي
وذاك الصحابي، بل استمروا في بدعهم، إلى أن مرت الأيام وخرجوا مع
الخوارج، يرون تكفير المسلمين والخروج على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -
، فالبدعة تجر إلى أختها، والفتنة تجر إلى فتنة أعظم، حتى يستباح بها دم المسلم،
وحتى يقع المسلم فيها في التكفير، أول الفتنة إنما تكون باللسان، ثم بعد ذلك
يقع المسلم في الفتنة التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي الخروج
على ولاية أمر المسلمين.

هذا والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة الإمارات العربية المتحدة

www.baynoona.net



شبكة بئونة للعلوم الشرعية
نعتنى بنقل العلم الشرعي في دولة
الإمارات العربية المتحدة